(٨٥)

"الدرس الخصوصى"

كانت تستعد مثل زميلاتها للحجز عند المدرسين الخصوصيين قبل بدء العام الدراسى للشهادة الإعدادية، ولم يكن هناك أى شيء غير عادى يستدعى الانتباه ليجعلها تتوقف عنده، أو ليوقف حياتها الطفولية التى طفت عليها بعض ملامح المراهقة المسالمة.

ذهبت لمنزل مدرس اللغة العربية لتحديد مواعيد مجموعة الدرس الخصوصى، وكانت تعلم شرط ذلك الأستاذ لقبول أية طالبة عنده، وهو أن تكون مرتدية للحجاب. وبمنتهى التحدى الأحمق منها أخذت قرارها بألا ترتدى الحجاب لمجرد إرضاء ذلك الأستاذ، طالما أنها لم تتخذ القرار بارتدائه أمام الجميع وعن مبادرة صادقة منها. وبالفعل دخلت عليه وهو فى حصة لمجموعة من المجموعات المنزلية وهى بلا حجاب وبلا خوف لتنظر بنفسها ماذا سيفعل معها. ومع هذا التحدى منها، والذى كان غير معتاد وغير مألوف له ولأتباعه، الذين اعتاد منهم أن يخضعوا لشروطه ولأوامره بكل استكانة وامتثال، كان عليها تحمل نتيجة تحديها بكل بأسٍ ودون فِرار.

وما أن وقفت أمام الأستاذ وبدأت تخاطبه، حتى لمحها بطرف عينه، فاستدار بوجهه على وجه السرعة وبلا أدنى تردد ليتأكد مما لمحته عيناه، فإذا به يراها أمامه بلا حجاب، بل وواقفة بجواره بمنتهى الجرأة تطلب منه مواعيد

الدرس الخصوصى الذى ستأخذه عنده. وفى أثناء ذلك كانت البنات اللاتى حول الأستاذ يشرِن إليها بإيماءات حذرة لكى تأتى بأية قماشة لتضعها على رأسها وهى تحاور الأستاذ قبل أن يستشيط غضبًا منها. وبينما كانت هى تتصنع الغباء وتتظاهر بالبلاهة مبدية عدم فهم ما يومئون لها به، أخذت تتبادل الحوار مع الأستاذ، وكأن شيئًا لم يكن، بينما الأستاذ كان قد استدار ليحاورها بشرارٍ نارى يتطاير من عينيه، وهو يحملق فيها غير مصدقٍ لما يراه أمامه.

بدأ الأستاذ بسؤالها عن سبب عدم ارتدائها الحجاب على الرغم من علمها بقدومها إليه. فكانت إجابتها عليه هى أنها بالفعل تعلم ذلك الشرط قبل مجيئها إليه، ولكن بما أنها غير مرتدية للحجاب بصفة دائمة، فقد قدمت إليه على حالتها كما هى (لا كما يريد هو أن يراها).

وبعد رفضه لإجابتها بدهشة يكسوه الاحترام، أخذ يوضح لها أنه من غير اللائق أن تكون فى هذا السن وغير مرتدية للحجاب، ثم سألها عن والدتها وعن كونها مرتدية للحجاب أم لا، فأجابته بأنها مرتدية له. فتعجب لذلك الأمر، ثم أعاد عليها سؤاله مرة أخرى عن سبب عدم ارتدائها الحجاب بينما ترتديه أمها. فكانت إجابتها أن والدتها لم ترغمها قط على إرتدائه، وهى حتى الآن لم تقرر بعد أن تلتزم بارتدائه. فما كان منه فى نهاية حواره معها إلا أن أمرها بضرورة أن تكون مرتدية للحجاب، إذا أرادت الالتحاق بأية مجموعة من مجموعات الدرس الخصوصى عنده، موضحًا لها أنه من الأفضل لفتاة بالغة مثلها أن

تكون مرتدية للحجاب، فهو أمرٌ ضرورى لا يحتاج منها أن تفكر فيه، بل عليها أن تخضع له خضوعًا جبريًا فور بلوغها.

لم تجد هى شيئًا لتقوله له بعد ذلك، فهزت رأسها مبدية استجابتها لما يقول، وأخذت منه موعدًا تبدأ فيه الدرس الخصوصى عنده مع زميلاتها.

وخرجت من منزله، وهى تقول لنفسها:"إنه ينتظر منى أن أستجيب لأوامره وأن أرتدى الحجاب أمامه، ثم أخلعه فور انتهاء الدرس والخروج من عنده مثلما تفعل أكثر البنات اللاتى تأخذن درسًا خصوصيًا عنده، ولكنى لن أفعل ذلك ... فالحجاب أمرٌ دينى، أى أمرٌ بينى وبين الله، فكيف يجبرنى هو عليه وكأنه أمرٌ بينى وبينه هو؟!"

وانطلقت مسرعة لمنزلها لتخبر والدتها بما حدث، فأخبرتها والدتها بأنها كانت تعلم أن ذلك سيحدث معها، وأن ذلك المدرس لن تفلح معه شجاعتها المتأججة، ورغبتها الملحة فى الاستقلال وعدم الخضوع لأمر ليست على اقتناع به. والآن بعدما فعلت ما تريده، وذهبت إليه وهى حاسرة الرأس، فليس عليها الآن سوى الامتثال لأوامره حتى تتمكن من أخذ الدرس عنده، وتكون مثلها مثل بقية زميلاتها اللاتى تسعين للحصول على الدرجة النهائية فى مادة اللغة العربية لا غير.

نصحتها أمها حرصًا منها على ألا تدخل ابنتها فى تحدٍ ربما لن تستطيع الصمود فيه لوقتٍ طويل؛ ولكنها أصرت على عدم ارتداء الحجاب إرضاءً لمخلوق حتى لو كان ذلك على حساب تفوقها الذى اعتادت عليه، واعتادت أن تسعِد به والديها فى نهاية كل عام دراسي.

وإذا بالقدَر يخبىء لها القيام بالحج والعمرة بعد هذه الحادثة بعدة أسابيع، فوجدت نفسها ترتدى الحجاب بالفعل لأول مرة امتثالاً لأمر الله أثناء تأدية فريضة الحج، وليس كما اعتادت أن ترتديه وهى فى السعودية منذ أن كانت طفلة صغيرة فى المدرسة، ثم عندما كانت تذهب لزيارة والدها فى كل عام خلال إجازة نهاية العام الدراسى. فذاقت وقتها وللمرة الأولى وبدون مقدمات مذاق ارتداء الحجاب إرضاءً لله، وطاعة له، وليس استرضاءً لمخلوق، أو امتثالاً لقيود تفرضها قوانين دولة من الدول. فما أن ارتدت الحجاب هذه المرة إلا وقد قُذِف فى قلبها ألا تخلعه حفاظًا على الحجة التى أدتها، ورغبة فى عدم حرمانها من قبول الله لها.

وعندما عادت لبلدها، ذهبت لأستاذها وهى مرتدية للحجاب لتبدأ فى حصص الدرس الخصوصى عنده، فرآها أمامه هذه المرة على الهيئة التى يريد أن يراها فيها، فقال لها متهكمًا: "أما وقد ارتديتِ الحجاب فعليكِ ألا تخلعيه مثلما تفعل زميلاتك فور خروجهن من هنا." فنظرت إليه متعجبة من إصراره على قهر زميلاتها بإجبارهن على ارتداء الحجاب، وهو يعلم يقينًا أنهن يخلعنه بعد انتهاء الدرس، ومع ذلك فهو يفضل منهن أن يستجبن لأوامره بغض النظر عن اقتناعهن بما يفعلنه ليكون طاعة لله. وأسرَّت فى نفسها اعتراضها على سلبية زميلاتها،عندما آثرن الامتثال لأوامر البشر أيًا من كانوا حتى لو كانت فيما يتعلق بما يرضى الله أو يغضبه.